جامعة تكريت

كلـــية الـــتربيـــة للعلوم الانسانية

قســم التـــــاريخ / ماجستير تاريخ حديث

تطورالتكوين السياسي لدولة الامارات العربية المتحدة حتى عام ١٩٤٥

الاستاذ الدكتور

غفار جبار جاسم

تعتبر دولة الإمارات العربية المتحدة المعاصرة جزءاً من الإقليم الذي عرف تاريخياً باسم «عمان»، كما عرفت باسم «مجان» وذكره كثير من المؤرخين والكتاب العرب وغيرهم، والذي يشمل حالياً سلطنة عمان ودولة الإمارات العربية المتحدة. من هذا المنطلق فإن تاريخ الدولة المعاصرة يدخل في إطار التاريخ العماني والعربي الشامل. وقبل ميلاد دولة الإمارات العربية المتحدة كانت المنطقة تسمى مشيخات الساحل العماني، ثم أطلق عليها الاستعمار ساحل القرصان، ثم تغير هذا الاسم ليصبح مشيخات الساحل المهادن. ويقسم تاريخ الإمارات إلى ست مراحل رئيسية عبر العصور المتلاحقة، ولا ينفصل تاريخها عن تاريخ المنطقة حولها في مراحل عديدة منه. وكان تاريخها مليئا بالأحداث والتطورات، تراوحت ما بين الحرب والسلام. ففي السلم كان لأساطيل سكان المنطقة وخبرتهم البحرية دور كبير في إنعاش التجارة بين الدول المطلة على المحيط الهندي من آسيا وأفريقيا وبين أوروبا عبر طرق التجارة المعهودة. ولكن يبدو أن هذا كان أيضا من مسببات الحروب في المنطقة.

اولا : الامارات تحت الاحتلال البرتغالي

كانت البرتغال أول الأقطار الأوروبية التي وصلت إلى الخليج عندما قام فاسكو دي جاما باكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح المؤدي إلى الهند. وقد جالت سفن البرتغاليين في مياه الخليج وبمرور الزمن أصبحت المسيطرة على الملاحة وأصبحت تنقل البضائع بين الهند وإفريقيا وأوروبا. ولم يكتف البرتغاليون بالسيطرة على الملاحة والتجارة بل حاولوا السيطرة على بلاد الخليج، وكانوا يمارسون البطش والوحشية في تنفيذ سياستهم.

وكانت هولندا أيضًا من الأقطار التي سعت إلى إيجاد علاقات مع الهند والخليج. وقد تعاون الأسطول الهولندي مع الأسطول البريطاني على ضرب الأسطول البرتغالي المنافس لهما عام ١٦٣٥م، غير أن الهولنديين والإنجليز ما لبثوا أن دخلوا في تنافس أدّى إلى حرب بين البلدين استمرت حتى عام ١٦٥٢م. وعاد البلدان للتحالف بعد ذلك لظهور منافس جديد خطير على ساحة التجارة في الهند ومنطقة الخليج هو فرنسا، فقد وصل الفرنسيون إلى الهند عام ١٦٦٤م واهتموا بمنطقة الخليج. وتطوَّر التنافس بين الإنجليز والفرنسيين إلى أن دخل البلدان في حرب استمرت من ١٧٥٦ إلى ١٧٦٣م.

ثانيا :سيطرة بريطانيا على الخليج العربي

تمكن القواسم من ان يشكلوا قوة بحرية مقاومة للتغلغل الاوربي في منطقة الخليج العربي ولاسيما بريطانيا، التي اضطرت في بداية وجودها الى دفع ترضيات لهم، مقابل المرور في مياههم، ولكن عندما شعرت بأن في مقدورها مهاجمتهم بعد تصفية صراعاتها مع الدول الاجنبية ، وبعد تثبيت نفوذها في الهند، وتمكنها من انهاء المنافسة الفرنسية في مياه المحيط الهندي بعد ١٧٩٨م فبدأت بالتحضير لضربهم الذين عدّت أعمالهم من أعمال القرصنة، لانهم وقفوا

بوجه مدّ نفوذها السياسي والتجاري، مما دفعها الى التخطيط والتهيؤ لضرب قوتهم، وقد استغل الساسة البريطانيون حالة العداء بين امام عمان والقواسم فاستعانوا بالأول لدعم مخططاتهم، لذلك جاءت الحملة البريطانية الاولى عام ١٨٠٥ ، تبعها استغلال مطالبة حسين بن علي الزعيم القاسمي من حكومة بومباي – في جنوب الهند – بدفع ضريبة على السفن البريطانية في الخليج الذريعة التي اعتمدها بريطانيا اعاقة القواسم لنشاطها التجاري فمن واجبها انهاء تلك المظاهر، وفي ١١ تشرين الاول ١٨٠٩م وصلت القوات البريطانية بحملتها بقيادة الكولونيل ليونيل سمث الى ميناء راس الخيمة ودمرت المدينة واحرقت السفن الراسية، حتى كانت المواجهات العسكرية قاسية على القواسم فعلى الرغم من صدهم لحملة ١٨١٠ بكل بطولة، ساهمت تلك الحملات الى ظهور حالة الانقسام للاتحاد القاسمي عندما شهد بروز زعامتان احدهما في راس الخيمة، وعلى رائسها الشيخ حسن بن رحمة، والاخرى في الشارقة القاعدة الثانية للاتحاد التي استقر بها الشيخ سلطان بن صقر منذ عام ١٨١٦م بعد ان دعمه البريطانيين بالأموال شرط عدم تعرضه للسفن البريطانية، غير ان ازدياد قوة القواسم البحرية ومحاولة فرض قوتهم على خطوط الملاحة في الخليج العربي (١٨١١– ١٨١٩) فرض على بريطانيا اعادة حملاتها ضدهم كان آخرها حملة عام ١٨١٩م،

ان سياسة المعاهدات التي اتبعتها بريطانيا لم تكن بالتي تنهي المنازعات الداخلية او التعرض لمصالحها من قبل بعض القبائل الرافضة للوجود البريطاني حينما عمد بني ياس عام ١٨٣٥م الى مهاجمة السفن البريطانية اثر منعها ممارسة صيد اللؤلؤ، وما تبعها من مصادمات اسفرت عن عقد معاهدة الهدنة البحرية الاولى في ايار من العام نفسه كان الدافع منها تأكيد حماية مواطنيها ومصالحها في الخليج العربي، وحينما عمدت الى استمرار حرية السفن الحربية البريطانية والسماح بتنامي الوجود الفارسي في بعض الامارات واستغلال ضعف رد الفعل العثماني وبعض المحاولات التي لم تحقق شيء على ارض الواقع لضعف الوجود العثماني في الاصل وانشغالها في مشاكل داخلية وخارجية بعيدة نوعاً ما على المنطقة، كل ذلك دفع بريطانيا الى تجديد المعاهدات مع شيوخ الساحل بصفة دورية ففي عام ١٨٤٣م عقدت معاهدة مدتها عشرة سنوات و بانتهاء المعاهدة اقدمت السلطات البريطانية في الهند على وضع معاهدة جديدة عام ١٨٥٣م التي اقرت جميع بنود الاتفاق السابق والقضاء على اخر ما تبقى من المقاومة العربية في الخليج تبعها فرض معاهدة شاملة على اتحادات القاسمي والياسي والقبائل الخارجة عن الاتحادات تحت مسمى تعديل معاهدة السلام لعام١٨٢٠ بمعاهدة الحماية البريطانية عام ١٨٩٢م التي اعطت بريطانيا حق تصريف شؤون تلك الامارات بما يتوافق وتحقيق مصالحها في الخليج العربي ولا سيما بما يتعلق في ادارة مواردها وشؤونها الخارجية ووضع الوكلاء لحكومة الهند البريطانية، مقابل ضمان بريطانيا لحماية المشيخات من أي اعتداء خارجي يهدد كيان واملاك أي مشيخة، المعاهدة االتي عدت اعتراف بكيان كل مشيخة مستقلة عن بعضها، على الرغم من عدم وضوح الحدود الخاصة بكل مشيخة، وبناءاً على اقتراح من ضابط البحرية البريطانية في الهند الكابتن بريدو سمي الساحل العماني بالساحل المتصالح اثر المعاهدات التي فرضتها بريطانية.

رابعا : الصراع الاوربي على الولايات واهم الاتفاقيات حتى الحرب العالمية الثانية

لقد دفع النضال ضد المستعمرين القبائل المحلية الى الاتحاد تحت راية دولة واحدة. ففي القرن السابع عشر قامت على الأراضي الحالية لاتحاد الامارات العربية وعمان دولة يعرب التي تحولت في عام ١٦٢٤ الى امامة بعد تحرير مدينة صنحار من البرتغاليين. كما تم طرد الفرس من منطقة رأس الخليمة . في النصف الثاني من القرن السابع عشر وصلت دولة يعرب الى قمة مجدها حيث ضمت اليها ليس فقط الجزء الشمالي الشرقي والشاطىء الغربي من شبه الجزيرة العربية وانما ضمت اليها الجزء كل منطقة شرقي افريقيا . لقد عاشت دولة يعرب أكثر من ١٠٠ عام ثم انهارت بسبب التناقضات الداخلية .) .

في النصف الأول من القرن الثامن عشر بدأ يزداد تأثير قبائل بني ياس والقواسم . في عام ١٧٦١ تم في جزيرة ابو ظبي اكتشاف احتياطي من المياه العذبة . وقد اتخذت قبيلة بني ياس من هذه الجزيرة مقراً لها . وهكذا ظهرت مدينة ابو ظبي . لقد نمت هذه المدينة واتسعت بسرعة وبلغ عدد سكانها في عام ١٨٣٣ (١٢٠٠) نسمة يسكنونها بصورة دائمة . أما في مواسم صيد اللآلىء فيرتفع سكان المدينة حتى ٢٥٠٠ نسمة (٥) . في بداية القرن التاسع عشر هاجر احد فروع قبيلة بني ياس ، تحت قيادة عائلة المكتوم ، الى دبي واسسوا هنا امارة مستقلة

في الفترة من القرن الثامن عشر وحتى بداية القرن التاسع بدأ النفوذ البريطاني يتغلغل بعناد في منطقة الخليج العربي . والخصم الرئيسي للبريطانيين في هذه الفترة كان عرب قبيلة القواسم المنتشرين في رأس الخيمة والشارقة . في بداية القرن التاسع عشر كان عدد سكان رأس الخيمة ٣٩٠ الف نسمة واسطول بحري بلغ عدد سفنه ٨٧٦ سفينة و ١٩ الف بحار وجندي) . وكانت مدينة رأس الخيمة الواقعة في شبه جزيرة المسندم تتحكم في مدخل الخليج عبر مضيق هرمز . فقد تم بناء ابراج المراقبة على التلال المحيطة ومن هنا كانت تتم مراقبة السفن العابرة للمضيق واعطاء المعلومات اللازمة للمدينة . وهذه الابراج كانت تشبه من بعيد رؤوس الخيام ومن هنا جاءت تسمية البلاد كلها بـ «رأس الخيمة»

في عام ١٨٦٩ وقع مشايخ اتفاقية عمان مع بريطانيا اتفاقية تعهدوا بموجبها بعدم توقيع اية اتفاقيات مع اية دولة ثالثة او تقديم اية امتيازات لأية دولة أخرى وعدم تأجير اية قطعة ارض من اراضي مشيخاتهم دون موافقة انكلترا. وفيما بعد اخذت انكلترا على عاتقها – حسب اتفاقية ١٨٩٢ – كل العلاقات الخارجية لامارات اتفاقية عمان . وهكذا وقعت الامارات تحت الانتداب البريطاني . ففي منطقة الخليج العربي تمركزت القوات العسكرية البريطانية وفي الشارقة انشيء مقر ضابط الاتصال الانكليزي في منطقة الخليج العربي ، وقد تم فيما بعد انشاء مثل هذه المراكز في دبي وابو ظبي.

في عام ١٩١١– ١٩١٢ تم توقيع اتفاقيات اخرى بالاضافة الى الاتفاقيات السابقة وقد احتوت هذه الاتفاقيات – كسابقاتها – مزيداً من البنود المجحفة بحق شعوب هذه الامارات والتي رسخت مواقع الامبريالية البريطانية اكثر واكثر

في هذه المنطقة ووفرت لانكلترا شروطاً اكثر ملائمة للتدخل في الشؤون الداخلية والخارجية للامارات . مع بداية الحرب العالمية الاولى استطاعت بريطانيا أن . تحصل من تركيا على اعتراف بحقوقها الخاصة في امارات اتفاقية عمان (المعاهدة الانكليزية – التركية عام (١٩١٣) . في عام ١٩١٤ قامت القوات البريطانية باحتلال المراكز الرئيسية الواقع على سواحل امارات اتفاقية عمان ، وفي عام ١٩٢٢ وضعت بريطانيا تحت سيطرتها حق شيوخ الامارات في اعطاء امتيازات للتنقيب عن النفط لاية جهة اخرى دون الموافقة البريطانية المسبقة

خامسا :التطورات الداخلية في امارات الساحل العماني بين الحربين

دخلت المشيخات السبع وهي(ابو ظبي، دبي، الشارقة، عجمان، ام القوين، راس الخيمة، الفجيرة) في مرحلة سياسية وصراع داخلي ، كان له عدة اسباب منها الطابع القبلي الذي لا يخلوا من صراعات مستمرة لتحقيق مصالح اقتصادية او سياسية، وعدم امتلاك زعماء المشيخات لنظرة سياسية مستقرة في ادارة المشيخة وعلاقتها مع غيرها من القوى المحلية او الدولية، يضاف الى تلك الاسباب الوجود البريطاني والتدخل الخارجي الذي سعى تغذية تلك الصراعات بطريقة او اخرى بما يضمن حالة التفكك والضعف .

بدأ الصراع بين تلك المشيخات حول الموقف من قبيلة بني قتب ومحاولة شيخ ام قوين ضمها عام ١٩١٥م، النوايا التي رفضها شيوخ كل من الشارقة وابوظبي، وفي عام ١٩٢٣م اغتيل عبدالله بن راشد حاكم ام قوين تبعها اغتيال من جاء بعده في الحكم الشيخ حمد بن ابراهيم عام ١٩٢٩م، فسرت عمليات الاغتيال الاسرية تلك على انها من تدبير حاكم الشارقة، وهو ما اكدته رسالة الوكيل الوطني في الشارقة الى المقيمة البريطانية في الخليج العربي في ٢٠ شباط ١٩٢٩مم، بهدف ايجاد حكام موالين له في ام القوين يحقق اهداف المستقبلية لضم ام القوين الى املاكه.

وكان من ابرز اسباب الصراع الاسري لحكام مشيخة الشارقة، هو رغبة احد اقرباء الشيخ خالد حاكم الشارقة المعروف بعبدالرحمن فرض سيطرته على حساب مشيخة عجمان عام ١٩٢٠م، وامام رفض حاكم الشارقة لتلك التوجهات، تمكن الشيخ عبدالرحمن وبالتعاون مع اطراف قبلية من ابعاد حاكم الشارقة عن الحكم عام ١٩٢٣م وتولي سلطان بن صقر حكم الشارقة عام ١٩٢٤م، شجع وصول الشيخ سلطان الى الحكم توسيع مشيخته على الاراضي التابعة لمشيخة عجمان، الاهداف التي لم يكتب لها النجاح مع فشل الحصول على تاييد القبائل والمشيخات الاخرى، اثر زيادة التوتر بين الاطراف اصدرت بريطانيا في كانون الاول ١٩٣٤م انذارها الى حاكمي عجمان والشارقة

بضرورة انهاء الصراع، والتهديد بتحميل المسؤولية عن أي اخطار قد يتعرض لها الرعايا البريطانيين او القواعد العسكرية في امارة الشارقة، والدعوة في الوقت نفسه الى عقد صلح بضمان بريطاني ينتهي به الصراع بين المشيختين.

سادسا :التطورات الاقتصادية في امارات الساحل العماني حتى نهاية الحرب العالمية الثانية

أن بني ياس عرفوا بالانضواء تحت المجموعة الهناوية مع تمسك بالمذهب المالكي، كذلك فإن الخلافات الأسرية التي وقعت بعد وفاة سلطان بن صقر أحد كبار زعماء القواسم في القرن التاسع عشر سنة ١٨٦٦ قد أكد إنفصال رأس الخيمة ثم الفجيرة عن تبعية الشارقة، ولو أن حكام هذه الإمارات ظلوا يعتبرون أنفسهم ورثة زعامة القواسم الخلاف ولم تكن بريطانيا في نفس الوقت راضية عن هذه الزعامة، وقد نتج عن ذلك ظهور حركات إنفصالية على خليج عُمان وعودة بعض الأجزاء التي انفصلت عن الشارقة إلى تبعيتها رغم عدم وجود إتصال جغرافي، وفي بعض الأحيان كانت المصالح البريطانية تقتضي تشجيع الانفصال وأحياناً أخرى تؤيد التجمع.

وقد تعرضت إمارة أبو ظبي لفترة من الفوضى اتسمت بالاغتيالات الأسرية وعدم الاستقرار حتى إن بعض القبائل مثل المناصير خلعت طاعة أسرة ألبو فلاح وأعلنت ولاءها لآل سعود. وأدرك أعضاء الأسرة الحاكمة مغبة هذه الفوضى ويقال إن الشيخة سلمى) عملت على جمع كلمة الأسرة حول إبنها شخبوط بن سلطان آل نهيان، فشهدت أبو ظبي منذ اختياره حاكماً سنة ١٩٢٨ فترة أخرى من الاستقرار غير أن الاستقرار إقترن بإسلوب إنعزالي في إدارة البلاد. فرغم أن عهد الشيخ شخبوط شهد بداية إستغلال النفط، فقد ظل يرفض بإصرار إجراء أي تغيير في طريقة الحكم أو إدخال مشروعات عن عدم تقبل إنشاء المدارس وكان ينطلق في ذلك من أن المثل الأعلى لحياة السكان هي حياة التقشف والبداوة فلا ينبغي ان تغير أبو ظبي حياتها الاجتماعية كما كانت عليه منذ قرنين وإلا فقدت شخصيتها وضاع معها حكمه، ولذا صار ينظر إلى ثروة النفط نظرة يشوبها عدم الاكتراث وانتقد جيرانه من الشيوخ الذين إقتبسوا أساليب الحياة الجديدة.

وبحكم تطور دبي الاقتصادي انتقلت إلى ساحل عُمان بعض مشكلات المجتمع الرأسمالي فتأثرت البلاد بالأزمة الاقتصادية العالمية سنة ١٩٢٩ ، وتصادف أن أعقب ذلك إكتشاف اليابان للؤلؤ الصناعي فكسدت صناعة الغوص

لكلا السببين ونتج عن ذلك عجز التجار المحليين عن سداد ديونهم «اللبانيان» هؤلاء التجار الهنود الذين كانوا يقرضون أصحاب السفن العرب بفوائد فاحشة ولما لم يتمكنوا من تحصيل ديونهم في مواعيدها إشتكوا إلى الإدارة البريطانية فكانت هذه مناسبة لتدخل بريطاني أوسع في الشؤون المحلية، وتأثر دخل الشيوخ نتيجة هذه الأزمة، إما لأنهم اصحاب سفن أو لما كانوا يتقاضونه من التجار على سبيل الرسوم والهبات معاً، وتعرضت دبي من جراء ذلك لتمرد القبائل التي اعتادت أن تتلقى الإعانات من الشيوخ مثل قبائل المناصير وبنو كتب

إن الأمر يتعلق بإختلاف أسري حول توزيع هذه الثروة الجديدة فزعيم حركة المعارضة مانع بن راشد هو أحد الحاكمة في دبي وهي أسرة البوفلاسة من بني ياس، إنتهز فرصة إنفصال ديرة عن دبي بممر صغير (خور) فتحصن بالضاحية وأعلن أنه يريد إرغام الشيخ سعيد آل مكتوم على الأخذ بنظام الشورى في الحكم وأيدت بريطانيا هذه اللحظة إدراكاً من المسؤولين البريطانيين في الخليج لمغبة إنفراد الحاكم بمصادر الدخل ونزعته إلى إحتكار التجارة مما يتعارض ومصالح التجار الهنود ، ويثير القلاقل بصفة عامة، وقد تم بالفعل تكوين مجلس إستشاري يضم ١٥ من شيوخ الأسرة الحاكمة ومهمته بالدرجة الأولى هي فرض رقابة على الإنفاق، ويبدو أن الشيخ مانع بن راشد إندفع في تيار الإصلاح) فتقدم عن طريق المجلس توصية بتحديد مخصصات الحاكم وأعضاء الأسرة والتوسع في الإنفاق على المشروعات العمرانية لذا صار الشيخ سعيد يتحين الفرصة للتخلص من المعارضة، ولم تلبث أن تهيأت له خطة للدخول إلى ديرة عن طريق الخديعة (آذار/ مارس (١٩٣٩م)

وهكذا إضطر الشيخ مانع إلى الفرار لإمارة الشارقة المجاورة حيث يقيم الوكيل السياسي البريطاني فساعده على الخروج من البلاد مما جعل بعض الأوساط الوطنية في العراق تتهم السلطات البريطانية بتحطيم حركة الإصلاح في دبي وفي سنة ١٩٤٣م استفسرت حكومة لندن عن هذه القضية لتهدئة الصحف العراقية فجاء رد حكومة الهند يقول إن بريطانيا إهتمت بتكوين مجلس إستشاري جديد في دبي